تلين القلوب فكيف جعله في هذه الآية سببا لحصول القسوة في القلب اجيب
بان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن مناسبة
الروحانيات شديدة الميل الى الطباع البهيمية والاخلاق الذميمة فان
سماعها ذكر الله يزيدها قسوة وكدورة مثاله ان الفاعل الواحد تختلف
افعاله بحسب اختلاف القوابل كنور الشمس يسود وجه القصار ويبيض
ثوبه وحرارة الشمس تلين الشمع وتعقد الملح وقد نرى انسانا واحدا
يذكر كلاما واحدا في مجلس واحد فيستطيبه واحد ويستكرهه غيره
وما ذاك الا بسبب اختلاف جواهر النفوس ولما نزل قوله تعالى ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين وعمر بن الخطاب حاضر وانسان آخر
فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر
قال كل واحد منهما تبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكتب فكذا نزلت فازداد عمر ايمانا على ايمانه وارتد ذلك
الانسان واذا عرف ذلك لم يبعد ان يكون ذكر الله تعالى يوجب النور
والهداية والاطمئنان في النفوس الطاهرة الروحانية ويوجب القنوط
والبعد عن الحق في النفوس الخبيثة وقيل من بمعنى عن اي قسية قلوبهم
عن قبول ذكر الله وجرى على ذلك الجلال المحلي اولئك اي هؤلاء البعداء
في ضلال مبين اي بين قيل نزلت هذه الآية في ابي بكر وفي ابي بن خلف
وقيل في علي وحمزة وابي لهب وولده وقيل في رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي ابي جهل الله الفعال لما يريد الذي له مجامع العظمة والجامع
لصفات الكمال نزل اي بالتدريج للتدريس وللجواب عن كل شبهة احسن
الحديث اي القرآن روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة
فقالوا حدثنا فنزلت وكونه احسن الحديث لوجهين احدهما من جهة اللفظ
والآخر من جهة المعنى اما الاول فلان القرآن افصح الكلام واجزله

وابلغه

وابلغه واجزله وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب ولا من
جنس الرسائل بل هو نوع يخالف الكل في اسلوبه مع ان كل طبع سليم
يستلذه ويستطيبه واما من جهة المعنى فهو منزه عن التناقض والاختلاف
قال عز شانه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ومشتمل على
اخبار الماضين وقصص الاولين وعلى اخبار الغيوب الكثيرة في الماضي
والمستقبل وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار وفي ايقاع الله تعالى
مبتدا وبناء نزل عليه تفخيم لاحسن الحديث واستشهاد على حسنه وتاكيد
لاستناده الى الله تعالى وانه من عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر الا عنه
وتنبيه على انه وحي معجز مباين لسائر الاحاديث وقوله تعالى كتابا اي
جامعا للكل بدل من احسن الحديث وقيل حال منه بناء على ان احسن
الحديث معرفة لاضافته الى معرفة وافعل التفضيل اذا اضيف الى معرفة
فيه خلاف فقيل الاضافة محضة وقيل غير محضة والصحيح الاول وقوله
تعالى متشابها نعت لكتاب وهو المسوغ لمجيء الحال اذ انه في قوة
مكتوب وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز والبلاغة والموعظة بحيث
لا تفاوت فيه اصلا في لفظ ولا معنى مع كونه نزل مفرقا في نيف وعشرين
سنة واما كلام الناس فلا بد من التفاوت فيه وان طال الزمان في
التهذيب سواء الجزء مما تقدم ام لا وقوله تعالى مثاني جمع مثنى بمعنى
مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه
ووعده ووعيده ومواعظه او جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير
والاعادة وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يخلق
على كثرة الرد فان قيل كيف وصف كتاب وهو مفرد بالجمع اجيب
بان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير الا ترى
انك تقول القرآن اسباع واخماس وسور وآيات فكذلك تقول اقاصيص

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)